نورُ التوحيد وظلماتُ الشرك

في ضوء الكتاب والسنة

تأليف
الفقير إلى الله تعالى
د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني

مكتبة السنة

الطبعة الأولى لمكتبة السنة بالقاهرة
١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

رقم الإيداع : ٤٩٠١ / ٢٠٠١
طبع بدار نوبار للطباعة

مكتبة السنة
الدار السلفية لنشر العلم



القاهرة : ٨١ شارع البستان - ميدان عابدين ،ناصية شارع الجمهورية،
تليفون : ٣٩٠٠٣١٨ - ٣٩١٣٥٣٢ فاكس : ٣٩١٣٥٣٢ - تلكس: ٢١٧١٩ TLTHRB UN
ص . ب : ١٢٨٩ - الرمز البريدى : ١١٥١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد للَّه، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فهذه رسالة مختصرة في: «**نور التوحيد وظلمات الشرك**»، بينت فيها: مفهوم التوحيد وأدلته، وأنواعه، وثمراته، ومفهوم الشرك، وأدلة إبطاله، والشفاعة: المنفية، والمثبتة، وأسباب ووسائل الشرك، وأنواعه، وأقسامه، وأضراره وآثاره.

ولاشك أن التوحيد نور يوفق اللَّه له من يشاء من عباده، والشرك ظلمات بعضها فوق بعض يُزيَّن للكافرين قال اللَّه عز وجل: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقد بين اللَّه عز وجل أنه أنزل

على محمد ﷺ الآيات الواضحات والدلائل الباهرات، وأعظمها القرآن الكريم؛ ليخرج الناس بإرسال الرسول ﷺ وبما أنزل عليه من الكتاب والحكمة: من ظلمات الضلالة والشرك، والجهل، إلى نور الإيمان والتوحيد، والعلم والهدى، قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٩].

وقد قسمت البحث إلى مبحثين، وتحت كل مبحث مطالب على النحو الآتي:

المبحث الأول: نور التوحيد:

المطلب الأول: مفهوم التوحيد.

المطلب الثاني: البراهين في إثبات التوحيد.

المطلب الثالث: أنواع التوحيد.

المطلب الرابع: ثمرات التوحيد وفوائده.

المبحث الثاني: ظلمات الشرك:

المطلب الأول: مفهوم الشرك.

المطلب الثاني: أدلة إبطال الشرك.

المطلب الثالث: الشفاعة المنفية والمثبتة.

المطلب الرابع: مسبغ النعم المستحق للعبادة.

المطلب الخامس: أسباب ووسائل الشرك.
المطلب السادس: أنواع الشرك وأقسامه.
المطلب السابع: أضرار الشرك وآثاره.

والله سبحانه أسأل باسمه الأعظم الذي إذا سُئِلَ به أعطى أن يجعل هذا العمل القليل مباركًا خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفعني به في حياتي وبعد مماتي، وأن ينفع به كل من انتهى إليه؛ فإنه عز وجل خير مسؤول، وأكرم مأمول، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله الأمين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

المؤلف

حرر في ظهر يوم الثلاثاء الموافق ١٦/١٠/١٤١٩هـ

المبحث الأول: نور التوحيد

المطلب الأول: مفهوم التوحيد:

التوحيد المطلق، هو: العلم والاعتراف المقرون بالاعتقاد الجازم، بتفرد اللَّه عز وجل بالأسماء الحسنى، وتوحده بصفات الكمال، والعظمة والجلال، وإفراده وحده بالعبادة[1]، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] قال العلامة السعدي رحمه اللَّه: «أي متوحد منفرد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فليس له شريك: في ذاته، ولا سمي له، ولا كفو، ولا مثل، ولا نظير، ولا خالق ولا مدبر غيره؛ فإذا كان كذلك فهو المستحق لأنْ يُؤَلَّه ويُعبد بجميع أنواع العبادة، ولا يُشرك به أحد من خلقه»[2].

المطلب الثاني: البراهين الساطعات في إثبات التوحيد:

البراهين الساطعات، والبينات الواضحات في كتاب اللَّه عز وجل، وفي سنة النبي ﷺ على إثبات التوحيد كثيرة لا تحصر،

(١) انظر: «القول السديد في مقاصد التوحيد» للسعدي (ص١٨).
(٢) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» للسعدي (ص٦٠).

ولكن منها على سبيل المثال ما يأتي:

١- قال الله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨] والمعنى: ما خلقت الجن والإنس إلا ليوحدونِ[١].

٢- وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾[النحل: ٣٦] يخبر الله عز وجل أن حجته قامت على جميع الأمم، وأنه ما من أمة متقدمة، أو متأخرة إلا وبعث الله فيها رسولاً، وكلهم متفقون على دعوة واحدة، ودين واحد، وهو: عبادة الله وحده لا شريك له، فانقسمت الأمم بحسب استجابتها لدعوة الرسل قسمين ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ﴾ فاتبعوا المرسلين، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ فاتبع سبيل الغي[٢].

٣- وقال عز وجل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[الأنبياء: ٢٥] فكل الرسل

(١) «الجامع لأحكام القرآن الكريم» للقرطبي (١٧/ ٥٧).
(٢) انظر: «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» للسعدي (ص٣٩٣).

عليهم الصلاة والسلام قبل النبي ﷺ: زبدة رسالتهم وأصلها، الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وبيان أنه الإله الحق المعبود، وأن عبادة ما سواه باطلة[١]؛ ولهذا قال الله عز وجل: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

٤- وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[الإسراء: ٢٣] فالله عز وجل قضى، ووصّى، وحكم، وأمر بالتوحيد فقال ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ قضاءً دينيًا، وأمرًا شرعيًا، ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ أحدًا: من أهل الأرض والسموات، الأحياء، والأموات، ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ لأنه الواحد الأحد، الفرد الصمد[٢].

٥- والأنبياء عليهم الصلاة والسلام يقولون لأممهم ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[الأعراف: ٥٩، ٦٥] والمعنى اعبدوا الله وحده؛ لأنه الخالق الرازق، المدبر لجميع الأمور،

(١) انظر: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» للطبري (١٨/٤٢٧)، «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» للسعدي (ص٤٧٠).

(٢) انظر: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» للطبري (١٧/٤١٣)، و«تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٣/٣٤)، و«تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (ص٤٠٧).

وما سواه مخلوق مُدبَّر ليس له من الأمر شيء[١].

٦- وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

٧- وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣] أمر اللَّه عز وجل نبيه محمدًا ﷺ أن يقول للمشركين: إن صلاتي وذبحي، وحياتي وما آتيه فيها، وما يجريه اللَّه عليَّ وما يقدّر عليّ في الجميع للَّه رب العالمين، لا شريك له في العبادة، كما أنه لا شريك له في الملك والتدبير، وبذلك أمرني ربي، وأنا أول من أقرّ، وأذعن، وخضع من هذه الأمة لربه[٢].

٨ - وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «**يا معاذ هل تدري ما حق اللَّه على عباده**»؟ قال: قلت: اللَّه ورسوله أعلم. قال: «**حق اللَّه على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا**» ثم سار ساعة ثم قال: «**يا معاذ، هل تدري ما حق العباد على اللَّه إذا فعلوه**» قلت: اللَّه ورسوله أعلم. قال: «**حق العباد**

(١) انظر: «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» للسعدي (ص٢٥٥).

(٢) انظر: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» للطبري (١٢/ ٢٨٣)، «وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» للسعدي (ص٢٤٥).

على اللَّه أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا»[١]، وهذا الحديث العظيم يبين أن حق اللَّه على عباده أن يعبدوه وحده لا شريك له بما شرعه لهم من العبادات، ولا يشركوا معه غيره، وأن حق العباد على اللَّه عز وجل أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا، ولا شك أن حق العباد على اللَّه: هو ما وعدهم به من الثواب، فحق ذلك ووجب بحكم وعده الصدق، وقوله الحق، الذي لا يجوز عليه الكذب في الخبر، ولا الخلف في الوعد، فهو حق جعله اللَّه سبحانه على نفسه، تفضلاً وكرمًا، فهو سبحانه الذي أوجب على نفسه حقًا لعباده المؤمنين، كما حرم الظلم على نفسه، لم يوجب ذلك مخلوق عليه، ولا يقاس بمخلوقاته، بل هو بحكم رحمته، وعدله، كتب على نفسه الرحمة، وحرم على نفسه الظلم[٢] .

٩ - وعن عتبان بن مالك رضي الله عنه، يرفعه إلى النبي ﷺ:

---

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب اللباس ، باب إرداف الرجل خلف الرجل، (٧/ ٨٩، برقم ٥٩٦٧)، ومسلم ، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة ، قطعًا، (١/ ٥٨ برقم ٣٠)، واللفظ للبخاري برقم (٢٨٥٦) ورقم (٦٥٠٠).

(٢) انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبي (١/ ٢٠٣)، و«شرح النووي على صحيح مسلم» (١/ ٣٤٥) و«مجموع فتاوى ابن تيمية» (١/ ٢١٣).

«... فإن اللّه حرم على النار من قال: لا إله إلا اللّه، يبتغي بذلك وجه اللّه»[١].

المطلب الثالث: أنواع التوحيد:

اللّه سبحانه وتعالى: هو ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، فإفراده تعالى وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين كله للّه هذا هو توحيد الألوهية: وهو معنى «لا إله إلّا اللّه» وهذا التوحيد يتضمن جميع أنواع التوحيد[٢] ويستلزمها؛ فإن التوحيد نوعان:

١- التوحيد الخبري العلمي الاعتقادي[٣]: وهو توحيد في المعرفة والإثبات، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وهو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى، وصفاته، وأفعاله، وأسمائه، وتكلمه بكتبه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه، وقدره، وحكمته، وتنزيهه عما لا يليق به.

---

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، (١/ ١٢٥ برقم ٤٢٥)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، (١/ ٤٥٥ برقم ٣٣).

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد، للشيخ سليمان بن عبد اللّه بن محمد بن عبد الوهاب (ص٧٤)، و«القول السديد» للسعدي (ص١٧)، و«بيان حقيقة التوحيد» للشيخ صالح الفوزان (ص٢٠).

(٣) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم (٣/ ٤٤٩).

٢- التوحيد الطلبي القصدي الإرادي: وهو توحيد في الطلب والقصد: وهو توحيد الإلهية أو العبادة(١).

وتكون أنواع التوحيد على التفصيل ثلاثة أنواع على النحو الآتي:

النوع الأول: توحيد الربوبية وهو: الاعتقاد الجازم بأن اللَّه تعالى هو الرب المتفرد بالخلق، والملك، والرزق، والتدبير، الذي ربّى جميع خلقه بالنعم، وربى خواص خلقه - وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم المخلصين - بالعقائد الصحيحة والأخلاق الجميلة، والعلوم النافعة، والأعمال الصالحة، وهذه التربية النافعة للقلوب والأرواح المثمرة لسعادة الدنيا والآخرة.

النوع الثاني: توحيد الأسماء والصفات: وهو الاعتقاد الجازم بأن اللَّه هو المنفرد بالكمال المطلق من جميع الوجوه، وذلك بإثبات ما أثبته اللَّه لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء والصفات، ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله من غير نفي لشيء

---

(١) انظر: «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» لابن القيم (٢/ ٩٤)، و«معارج القبول» لحافظ الحكمي (١/ ٩٨)، و«فتح المجيد» لعبد الرحمن بن حسن (ص١٧).

منها، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تمثيل، ولا تكييف. ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب وعن كل ما ينافي كماله.

وتوحيد الربوبية والأسماء والصفات قد وضحه اللَّه في كتابه كما في أول سورة الحديد، وسورة طه، وآخر سورة الحشر، وأول سورة آل عمران، وسورة الإخلاص بكاملها، وغير ذلك[(١)] .

النوع الثالث: توحيد الإلهية، ويقال له: توحيد العبادة، وهو الاعتقاد الجازم - مع العلم والعمل والاعتراف - بأن اللَّه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها، وإخلاص الدين كله للَّه ، وهو يستلزم توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات ويتضمنهما؛ لأن الألوهية التي هي صفة تعم أوصاف الكمال، وجميع أوصاف الربوبية والعظمة؛ فإنه المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال، ولما أسداه إلى خلقه من الفواضل والإفضال، فتوحده سبحانه بصفات الكمال، وتفرده بالربوبية، يلزم منه أن

---

(١) انظر: «فتح المجيد» (ص١٧)، و«القول السديد في مقاصد التوحيد» لعبد الرحمن السعدي (ص١٤ - ١٧)، و«معارج القبول» (١/ ٩٩).

لا يستحق العبادة أحد سواه.

وتوحيد الألوهية هو مقصود دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى آخرهم. وهذا النوع قد تضمنته سورة ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، وأول سورة السجدة وآخرها، وأول سورة غافر ووسطها وآخرها، وأول سورة الأعراف وآخرها، وغالب سور القرآن.

وكل سور القرآن قد تضمنت أنواع التوحيد، فالقرآن كله من أوله إلى آخره في تقرير أنواع التوحيد؛ لأن القرآن كله إما خبر عن اللّه وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأقواله، فهذا هو التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي: «توحيد الربوبية والأسماء والصفات»، وإما دعوة إلى عبادة اللّه وحده لا شريك له وخلع ما يُعبد من دونه، وهذا هو التوحيد الإرادي الطلبي - «توحيد الألوهية» -. وإما أمر ونهي وإلزام بطاعة اللّه، وذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرام أهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا من النصر والتأييد، وما يكرمهم به في الآخرة، وهو

جزاء توحيده سبحانه، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في الآخرة من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه، وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم[١].

المطلب الرابع: ثمرات التوحيد وفوائده:

التوحيد له فضائل عظيمة، وآثار حميدة، ونتائج جميلة، ومن ذلك ما يأتي:

١ - خير الدنيا والآخرة من فضائل التوحيد وثمراته.

٢- التوحيد هو السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة ، يدفع اللّه به العقوبات في الدارين، ويبسط به النعم والخيرات.

٣- التوحيد الخالص يثمر الأمن التام في الدنيا والآخرة، قال اللّه عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

٤- يحصل لصاحبه الهدى الكامل، والتوفيق لكل أجر وغنيمة.

(١) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم (٣/ ٤٥٠)، و«فتح المجيد»، (ص١٧ - ١٨)، و«القول السديد» (ص١٦)، و«معارج القبول» (١/ ٩٨).

٥- يغفر اللَّه بالتوحيد الذنوب ويكفر به السيئات، ففي الحديث القدسي عن أنس رضي الله عنه يرفعه : «**يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة**»(١) .

٦- يدخل اللَّه به الجنة، فعن عبادة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من شهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد اللَّه ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله اللَّه الجنة على ما كان من العمل**»(٢)، وفي حديث جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**من مات لا يشرك باللَّه شيئًا دخل الجنة**»(٣) .

---

(١) الترمذي، كتاب الدعوات، باب فضل التوبة والاستغفار (٥/٥٤٨ برقم ٣٥٤٠)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٣/١٧٦)، و«سلسلة الأحاديث الصحيحة» برقم (١٢٧، ١٢٨).

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم (٤/١٦٨ برقم ٣٢٥٢)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، (١/٥٧ برقم ٢٨).

(٣) مسلم كتاب الإيمان باب من مات لا يشرك باللَّه شيئًا دخل الجنة (١/ ٩٤ برقم ٩٣).

٧ - التوحيد يمنع دخول النار بالكلية إذا كمل في القلب، ففي حديث عتبان ﷺ عن النبي ﷺ: «... **فإن اللّٰه حرم على النار من قال: لا إله إلا اللّٰه يبتغي بذلك وجه اللّٰه**»(١) .

٨ - يمنع الخلود في النار إذا كان في القلب منه أدنى حبة من خردل من إيمان(٢) .

٩ - التوحيد هو السبب الأعظم في نيل رضا اللّٰه وثوابه، وأسعد الناس بشفاعة محمد ﷺ: «**من قال لا إله إلا اللّٰه خالصًا من قلبه أو نفسه**»(٣) .

١٠ - جميع الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها، وفي ترتيب الثواب عليها على التوحيد، فكلما قوي التوحيد والإخلاص للّٰه كملت هذه الأمور وتمت.

١١- يُسَهِّل على العبد فعل الخيرات، وترك المنكرات،

---

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت (١/ ١٢٦ برقم ٤٢٥)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر (١/ ٤٥٥ - ٤٥٦ برقم ٣٣).

(٢) انظر : «صحيح البخاري» كتاب التوحيد، باب قول اللّٰه تعالى: لما خلقت بيدي ، برقم (٧٤١٠)، و«صحيح مسلم» كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية (١/ ١٧٠ برقم ١٨٣، ١٩٣).

(٣) البخاري، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث (١/ ٣٨ برقم ٩٩).

ويسلّيه عن المصائب، فالموحد المخلص للّه في توحيده تخف عليه الطاعات؛ لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه، ويهوّن عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي؛ لما يخشى من سخط اللّه وعقابه.

١٢- التوحيد إذا كمل في القلب حبب اللّه لصاحبه الإيمان وزينه في قلبه، وكرّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، وجعله من الراشدين.

١٣- التوحيد يخفف عن العبد المكاره، ويهوّن عليه الآلام، فبحسب كمال التوحيد في قلب العبد يتلقى المكاره والآلام بقلب منشرح ونفس مطمئنة، وتسليم ورضًا بأقدار اللّه المؤلمة، وهو من أعظم أسباب انشراح الصَّدر.

١٤- يحرِّر العبد من رِق المخلوقين والتعلُّقِ بهم، وخوفهم ورجائهم ، والعمل لأجلهم، وهذا هو العزُّ الحقيقي، والشرف العالي، ويكون مع ذلك متعبدًا للّه لا يرجو سواه، ولا يخشى إلا إيَّاه، وبذلك يتمُّ فلاحه، ويتحقق نجاحه.

١٥- التوحيد إذا كمل في القلب، وتحقَّق تحققًا كاملًا بالإخلاص التام فإنه يصير القليل من عمل العبد كثيرًا، وتضاعف أعماله وأقواله الطيبة بغير حصر، ولا حساب.

١٦- تكفَّل اللَّه لأهل التوحيد بالفتح، والنصر في الدنيا، والعز والشرف، وحصول الهداية، والتيسير لليسرى، وإصلاح الأحوال، والتسديد في الأقوال والأفعال.

١٧- اللَّه عز وجل يدافع عن الموحدين أهل الإيمان شرور الدنيا والآخرة، ويمنُّ عليهم بالحياة الطيبة، والطمأنينة إليه، والأُنس بذكره.

قال العلامة السعدي رحمه اللَّه: «وشواهد هذه الجمل من الكتاب والسنة كثيرة معروفة، واللَّه أعلم» (١).

وقال ابن تيمية رحمه اللَّه: «وليس للقلوب سرور ولذة تامة إلا في محبة اللَّه تعالى، والتقرب إليه بما يحبه، ولا تتم محبة اللَّه إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه، وهذا حقيقة لا إله إلا اللَّه» (٢).

* * *

---

(١) «القول السديد في مقاصد التوحيد» (ص٢٥).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٣٢).

المبحث الثاني: ظلمات الشرك

المطلب الأول: مفهوم الشرك:

الشِّرْكُ، والشِّرْكَةُ، بمعنى وقد اشتركا، وتشاركا، وشارك أحدهما الآخر، وأشرك بالله: كفر فهو مشركٌ ومشركي، والاسم الشرك فيهما، ورغبنا في شرككم: مشاركتكم في النسب[١] ، وأشرك بالله: جعل له شريكًا في ملكه، أو عبادته، فالشرك: هو أن تجعل لله ندًا وهو خلقك، وهو أكبر الكبائر، وهو الماحق للأعمال، والمبطل لها، والحارم المانع من ثوابها، فكل من عدل بالله غيره: بالحب، أو التعظيم، أو اتبع خطواته، ومبادئه المخالفة لملة إبراهيم ﷺ فهو مشرك[٢] .

والشرك شركان: شرك أكبر يخرج من الملة وشرك أصغر لا يخرج من الملة[٣] .

وذكر العلامة السعدي رحمه الله أن حد الشرك الأكبر الذي يجمع أنواعه وأفراده **أن يصرف العبد نوعًا أو فردًا من أفراد**

(١) انظر: «القاموس المحيط» باب الكاف، فصل الشين (ص١٢٤٠).
(٢) «الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة» لعبد الرحمن الدوسري (ص٤١).
(٣) انظر: «قضية التكفير» للمؤلف (ص١١٩).

العبادة لغير الله، فكل: اعتقاد، أو قول، أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره شرك وكفر، وهذا ضابط للشرك الأكبر لا يشذ عنه شيء. وأما حد الشرك الأصغر فهو: **كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر، من: الإرادات، والأقوال، والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة**[١] .

المطلب الثاني: البراهين الواضحات في إبطال الشرك:

الأدلة القاطعة الواضحة في إبطال الشرك، وذم أهله كثيرة، منها ما يأتي:

١- كل من دعا نبيًا، أو وليًا، أو ملكًا، أو جنيًا، أو صرف له شيئًا من العبادة فقد اتخذه إلهًا من دون الله[٢]، وهذا هو حقيقة الشرك الأكبر الذي قال الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[النساء: ٤٨] .

٢- من البراهين القطعية التي ينبغي تبيينها وتوضيحها لمن

(١) انظر: «القول السديد في مقاصد التوحيد» لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (ص٣١ ، ٣٢ ، ٥٤).

(٢) انظر: «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» (ص٢٤٢).

اتَّخذَ من دون اللَّه آلهة أخرى، قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ (٢١) لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢١ - ٢٣].

فقد أنكر سبحانه على من اتخذ من دونه آلهة من الأرض، سواء كانت أحجارًا أو خشبًا، أو غير ذلك من الأوثان التي تعبد من دون اللَّه! فهل هم يحيون الأموات ويبعثونهم؟ والجواب: كلا، لا يقدرون على شيء من ذلك، ولو كان في السَّمَوات والأرض آلهة تستحق العبادة غير اللَّه لفسدتا وفسد ما فيهما من المخلوقات؛ لأن تعدد الآلهة يقتضي التمانع والتنازع والاختلاف، فيحدث بسببه الهلاك، فلو فُرِضَ وجود إلهين، وأراد أحدهما أن يخلق شيئًا والآخر لا يريد ذلك، أو أراد أن يُعطي والآخر أراد أن يمنع، أو أراد أحدهما تحريك جسم والآخر يريد تسكينه، فحينئذ يختل نظام العالم، وتفسد الحياة! وذلك:

* لأنه يستحيل وجود مرادهما معًا، وهو من أبطل الباطل؛ فإنه لو وجد مرادهما جميعًا للزم اجتماع الضدين، وأن يكون الشيء الواحد حيًّا ميتًا، متحركًا ساكنًا.

* وإذا لم يحصل مراد واحد منهما لزم عجز كل منهما، وذلك يناقض الربوبية.

* وإن وُجِدَ مراد أحدهما ونفذ دون مراد الآخر، كان النافذ مراده هو الإله القادر والآخر عاجز ضعيف مخذول.

* واتفاقهما على مراد واحد في جميع الأمور غير ممكن.

وحينئذ يتعين أن القاهر الغالب على أمره هو الذي يوجد مراده وحده غير مُمانع ولا مُدافع، ولا مُنازع ولا مُخالف ولا شريك، وهو اللَّه الخالق الإله الواحد، لا إله إلا هو، ولا رب سواه؛ ولهذا ذكر سبحانه دليل التمانع في قوله عز وجل: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١ - ٩٢].

وإتقان العالم العلوي والسفلي، وانتظامه منذ خلقه، واتساقه، وارتباط بعضه ببعض في غاية الدقة والكمال: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ﴾ [الملك: ٣]. وكل ذلك مسخر، ومدبر بالحكمة لمصالح الخلق كلهم يدل على أن مدبره

واحد، وربه واحد، وإلهه واحد، لا معبود غيره، ولا خالق سواه[١] .

٣- من المعلوم عند جميع العقلاء أن كل ما عُبِدَ من دون اللَّه من الآلهة ضعيف من كل الوجوه، وعاجز ومخذول، وهذه الآلهة لا تملك لنفسها ولا لغيرها شيئًا من ضر أو نفع، أو حياة أو موت، أو إعطاء أو منع، أو خفض أو رفع، أو عزّ أو ذلّ، وأنها لا تتصف بأي صفة من الصفات التي يتصف بها الإله الحق، فكيف يعبد من هذه حاله؟ وكيف يُرجى أو يُخاف من هذه صفاته؟ وكيف يُسئَل من لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئًا[٢]

---

(١) انظر: «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية (١/ ٣٥ - ٣٧)، (٩/ ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٣٧ - ٣٨٢)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٤١، ٣١٦)، وابن كثير (٣/ ٢٥٥، ١٧٦)، و«فتح القدير» للشوكاني (٣/ ٤٠٢، ٤٩٦)، و«تفسير عبد الرحمن السعدي» (٥/ ٢٢٠، ٣٧٤)، و«أيسر التفاسير» لأبي بكر جابر الجزائري (٣/ ٩٩)، و«مناهج الجدل في القرآن الكريم» للدكتور زاهر بن عواض الألمعي (ص١٥٨ - ١٦١).

(٢) انظر : «تفسير ابن كثير» (٢/ ٨٣، ٢١٩، ٢٧٧، ٤١٧) (٣/ ٤٧، ٢١١، ٣١٠)، وتفسير السعدي (٢/ ٣٢٧، ٤٢٠) (٣/ ٢٩٠، ٤٥١) (٥/ ٢٧٩، ٤٥٧)، (٦/ ١٥٣)، و«أضواء البيان» للشنقيطي (٢/ ٤٨٢) (٣/ ١٠١، ٣٢٢، ٥٩٨)، (٥/ ٤٤) ، (٦/ ٢٦٨).

وقد بين الله عز وجل ضعف وعجز كل ما عبد من دونه أكمل بيان، فقال سبحانه: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٦]، وقال عز وجل: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١-١٩٨]، وقال عز وجل: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

وهي مع هذه الصفات لا تملك كشف الضر عن عابديها ولا تحويله إلى غيرهم ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ

ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦] .

٤- ومن المعلوم يقينًا أن ما يعبده المشركون من دون اللَّه : الأنبياء، أو الصالحين، أو الملائكة، أو الجن الذين أسلموا، أنهم في شغل شاغل عنهم باهتمامهم بالافتقار إلى اللَّه بالعمل الصالح، والتنافس في القُرْبِ من ربهم يرجون رحمته ويخافون عذابه، فكيف يُعبَدُ من هذا حاله؟[١] قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧] .

٥- وقد أوضح وبيَّن سبحانه أن ما عُبِدَ من دونه قد توفرت فيهم جميع أسباب العجز وعدم إجابة الدعاء من كل وجه؛ فإنهم لا يملكون مثقال ذرة في السَّمَوات ولا في الأرض لا على وجه الاستقلال، ولا على وجه الاشتراك، وليس للَّه من هذه المعبودات من ظهير يساعده على ملكه وتدبيره، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له[٢]، قال عز وجل: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٨)، و«تفسير السعدي» (٤/ ٢٩١).
(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٧)، و«تفسير السعدي» (٦/ ٢٧٤).

لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢ - ٢٣] ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣ - ١٤] .

٦- وقال عز وجل: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]

٧- وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٦ - ١٠٧] ، وهذا وصف لكل مخلوق، وأنه لا ينفع ولا يضر وإنما النافع الضار هو اللّٰه ، ومن دعا ما لا يضره ولا ينفعه فقد ظلم نفسه بالوقوع في الشرك الأكبر، وإذا كان النبي عليه الصلاة والسلام لو دعا غير اللّٰه لكان من الظالمين المشركين، فكيف

بغيره؟ [(١)] ، فالنافع الضار هو المستحق للعبادة وحده ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧] .

٨- وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥ - ٦] فهل هناك أضل من هؤلاء الذين يعبدون من لا يستجيب لهم مدة مقامهم في الدنيا، لا ينتفعون بهم مثقال ذرة، وهم لا يسمعون منهم دعاء، ولا يجيبون لهم نداء، وهذا حالهم في الدنيا، ويوم القيامة يكفرون بشركهم، ويكونون لهم أعداء يلعن بعضهم بعضًا، ويتبرأ بعضهم من بعض [(٢)] .

٩- ضرب الأمثال من أوضح وأقوى أساليب الإيضاح والبيان في إبراز الحقائق المعقولة في صورة الأمر المحسوس، وهذا من أعظم ما يُردُّ به على الوثنيين في إبطال عقيدتهم وتسويتهم المخلوق بالخالق في العبادة والتعظيم؛ ولكثرة هذا النوع في القرآن الكريم سأقتصر على ثلاثة أمثلة توضح

---

(١) انظر: «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» للسعدي (ص٣٣١).
(٢) انظر: «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (ص٧٢٤).

المقصود على النحو الآتي:

(أ) قال اللّه عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج: ٧٣-٧٤].

حق على كل عبد أن يستمع لهذا المثل، ويتدبره حق تدبره، فإنه يقطع مواد الشرك من قلبه، فالآلهة التي تُعبَد من دون اللّه لن تقدر على خلق الذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقه، فكيف بما هو أكبر منه، بل لا يقدرون على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئًا مما عليهم من طيب ونحوه، فيستنقذوه منه، فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو أضعف المخلوقات، ولا على الانتصار منه واسترجاع ما سلبهم إياه، فلا أعجز من هذه الآلهة الباطلة، ولا أضعف منها، فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون اللّه ؟!

وهذا المثل من أبلغ ما أنزل اللّه تعالى في بطلان الشرك وتجهيل أهله [١].

(١) انظر: «أمثال القرآن» لابن القيم (ص٤٧)، و«التفسير القيم» لابن القيم (ص٣٦٨)، و«تفسير البغوي» (٣/ ٢٩٨)، و«تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٣٦)، و«فتح القدير» للشوكاني (٣/ ٤٧٠)، و«تفسير السعدي» (٥/ ٣٢٦).

(ب) ومن أحسن الأمثال وأدلّها على بطلان الشرك، وخسارة صاحبه وحصوله على ضد مقصوده، قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤١ - ٤٣].

فهذا مثل ضربه اللّه لمن عبد معه غيره يقصد به التعزز والتقوي والنفع، فبين سبحانه أن هؤلاء ضعفاء، وأن الذين اتخذوهم أولياء من دون اللّه أضعف منهم، فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت التي هي من أضعف الحيوانات، اتخذت بيتًا وهو من أضعف البيوت، فما ازدادت باتخاذه إلا ضعفًا، وكذلك من اتخذ من دون اللّه أولياء، فإنهم ضعفاء، وازدادوا باتخاذهم ضعفًا إلى ضعفهم[1].

(ج) ومن أبلغ الأمثال التي تُبيِّن أن المشرك قد تشتت

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٦٨)، و«أمثال القرآن» لابن القيم (ص٢١)، و«فتح القدير» للشوكاني (٤/ ٢٠٤).

شمله واحتار في أمره، ما بيّنه تعالى بقوله: ﴿ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩].

فهذا مثل ضربه اللّه تعالى للمشرك والموحد، فالمشرك لما كان يعبد آلهة شتى شُبِّهَ بعبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون، سيئة أخلاقهم، يتنافسون في خدمته، لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين، فهو في عذاب.

والموحد لما كان يعبد اللّه وحده لا شريك له، فمثله كمثل عبد لرجل واحد، قد سلم له، وعلم مقاصده، وعرف الطريق إلى رضاه، فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه واختلافهم، بل هو سالم لمالكه من غير تنازع فيه، مع رأفة مالكه به، ورحمته له، وشفقته عليه، وإحسانه إليه، وتوليه لمصالحه، فهل يستوي هذان العبدان؟ والجواب: كلَّا، لا يستويان أبدًا[1].

١٠- الذي يستحق العبادة وحده من يملك القدرة على كل

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٧٨)، وابن كثير (٤/ ٥٢)، و«التفسير القيم» لابن القيم (ص٤٢٣)، و«فتح القدير» للشوكاني (٤/ ٤٦٢)، و«تفسير السعدي» (٦/ ٤٦٨)، و«تفسير الجزائري» (٤/ ٤٣).

شيء، والإحاطة بكل شيء، وكمال السلطان والغلبة والقهر والهيمنة على كل شيء، والعلم بكل شيء، ويملك الدنيا والآخرة، والنفع والضر، والعطاء والمنع بيده وحده، فمن كان هذا شأنه فإنه حقيق بأن يُذكَر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، ويُطاع فلا يُعصى، ولا يُشرك معه غيره(١) .

وصفات الكمال المطلق للّه تعالى، لا يحيط بها أحد، ولكن منها على سبيل المثال:

(أ) **المتفرد بالألوهية**: لا يستحق الألوهية إلا اللّه وحده، الحي الذي لا يموت أبدًا، القيوم الذي قام بنفسه واستغنى عن جميع المخلوقات، وهي مفتقرة إليه في كل شيء ، ومن كمال حياته وقيوميته أنه لا تأخذه سنة ولا نوم، وجميع ما في السَّمَوات والأرض عبيده، وتحت قهره وسلطانه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٤] .

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٢٣٧)، (٢/ ٨٨، ٣٧٢)، (٣/ ٧١)، وابن كثير (١/ ٣٠٩، ٣٤٤)، (٢/ ١٢٧، ١٣٨، ٤٣٥، ٥٧٠، ٥٧٢) ، (٣/ ٤٢)، و«تفسير السعدي» (١/ ٣١٣، ٣٥٦)، (٢/ ٣٧٢، ٣٨١)، (٣/ ٣٩٧)، (٤/ ٢٠٤)، (٦/ ٣٦٤)، (٧/ ٦٨٦)، و«أضواء البيان» (٢/ ١٨٧)، (٣/ ٢٧١).

ومن تمام ملكه وعظمته وكبريائه أن لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فكل الوجهاء والشفعاء عبيد له، لا يقدمون على شفاعة حتى يأذن لهم، ولا يأذن إلا لمن ارتضى، وعلمه تعالى محيط بجميع الكائنات، ولا يطلع أحد على شيء من علمه إلا ما أطلعهم عليه، ومن عظمته أن كرسيه وسع السَّمَوات والأرض، وأنه قد حفظهما وما فيهما من مخلوقات، ولا يثقله حفظهما، بل ذلك سهل عليه يسير لديه، وهو القاهر لكل شيء، العلي بذاته على جميع مخلوقاته، والعلي بعظمته وصفاته، العلي الذي قهر المخلوقات ودانت له الموجودات، العظيم الجامع لصفات العظمة والكبرياء، وقد دل على هذه الصفات العظيمة قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(ب) **وهو الإله الذي خضع كل شيء لسلطانه**، فانقادت له المخلوقات بأسرها: جماداتها، وحيواناتها، وإنسها، وجنّها، وملائكتها ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا

وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

(ج) **وهو الإله الذي بيده النفع والضر**، فلو اجتمع الخلق على أن ينفعوا مخلوقًا لم ينفعوه إلا بما كتبه اللَّه له، ولو اجتمعوا على أن يضروه بشيء لم يضروه إذا لم يرد اللَّه ذلك: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

(د) **وهو القادر على كل شيء**، ولا يعجزه شيء: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

(هـ) **إحاطة علمه بكل شيء**، شامل للغيوب كلها: يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون[1]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥]، ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير (١/ ٣٤٤)، (٢/ ١٣٨)، والسعدي (٢/ ٣٥٦، ٣٧٢).

يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥].

ولا شك أن من عرف هذه الصفات وغيرها من صفات الكمال والعظمة، فإنه سيعبد اللَّه وحده؛ لأنه الإله المستحق للعبادة.

المطلب الثالث: الشفاعة:

أولاً: مفهوم الشفاعة لغة: يُقال شفع الشيء: ضمَّ مثله إليه، فجعل الوتر شفعًا[1].

واصطلاحًا: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضَّرةٍ[2].

من الحكمة القولية في دعوة من يتعلّق بغير الله تعالى ويطلب الشفاعة منه أن يبين له أن الشفاعة ملك لله وحده: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٤].

ثانيًا: يرد على من طلب الشفاعة من غير الله تعالى بالأقوال الحكيمة الآتية:

---

(١) انظر: «القاموس المحيط»، باب العين، فصل الشين (ص٩٤٧)، و«النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٤٨٥)، و«المعجم الوسيط» (١/ ٤٨٧).

(٢) انظر: «شرح لمعة الاعتقاد» للشيخ محمد صالح العثيمين (ص٨٠).

١- **ليس المخلوق كالخالق،** فكل من قال: إن الأنبياء والصالحين والملائكة أو غيرهم من المخلوقين لهم عند اللّه جاهٌ عظيمٌ ومقاماتٌ عاليةٌ فهم يشفعون لنا عنده كما يتقرّب إلى الوجهاء والوزراء عند الملوك والسّلاطين، ليجعلوهم وسائط لقضاء حاجاتهم، فهذا القول من أبطل الباطل؛ لأنه شبه اللّه العظيم ملك الملوك بالملوك الفقراء المحتاجين للوزراء والوجهاء في تكميل ملكهم ونفوذ قوتهم، فإن الوسائط بين الملوك وبين الناس على أحد وجوه ثلاثة:

الوجه الأول: إما لإخبارهم عن أحوال الناس بما لا يعرفونه.

الوجه الثاني: أو يكون الملِكُ عاجزًا عن تدبير رعيته فلابدّ له من أعوان؛ لذُلِّهِ وعجزه.

الوجه الثالث: أو يكون الملك لا يريد نفع رعيته والإحسان إليهم، فإذا خاطبهم من ينصحه ويعظه تحركت إرادته وهمّته في قضاء حوائج رعيته.

واللّه عز وجل ليس كخلقه الضعفاء، فهو تعالى لا تخفى عليه خافية، وغني عن كل ما سواه، وأرحم بعباده من الوالدة بولدها، ومعلوم أن الشافع عند ملوك الدنيا قد يكون له ملك

مستقل، وقد يكون شريكًا لهم، وقد يكون معاونًا لهم، فالملوك يقبلون شفاعته لأحد ثلاثة أمور:

أ- تارة لحاجتهم إليه.

ب- وتارة لخوفهم منه.

جـ- وتارة لجزاء إحسانه إليهم.

وشفاعة العباد بعضهم عند بعض من هذا الجنس، فلا يقبل أحد شفاعة أحد إلا لرغبة أو رهبة، والله عز وجل لا يرجو أحدًا ولا يخافه، ولا يحتاج إليه[1]، ولهذا قطع الله جميع أنواع التعلقات بغيره، وبيّن بطلانها، فقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣].

فقد سدّت هذه الآية على المشركين جميع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك أبلغ سدّ وأحكمه، فإن العابد إنما يتعلّق بالمعبود لما يرجو من نفعه، وحينئذ فلابد أن يكون المعبود مالكًا للأسباب التي ينتفع بها عابده، أو يكون شريكًا لمالكها،

---

(١) انظر: «فتاوى ابن تيمية» (١/١٢٦ - ١٢٩).

أو ظهيرًا أو وزيرًا أو معاونًا له، أو وجيهًا ذا حرمة وقدر يشفع عنده، فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة من كل وجه انتفت أسباب الشرك وانقطعت مواده(١).

٢- الشفاعة : شفاعتان:

(أ) **الشفاعة المثبتة**: وهي التي تطلب من اللَّه ولها شرطان:

الشرط الأول: إذن اللَّه للشافع أن يشفع، لقوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الشرط الثاني: رضا اللَّه عن الشافع والمشفوع له، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩].

(ب) **الشفاعة المنفية**: وهي التي تطلب من غير اللَّه فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه، والشفاعة بغير إذنه ورضاه والشفاعة للكفار: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، ويستثنى شفاعته ﷺ في تخفيف عذاب أبي طالب(٢).

---

(١) انظر: «التفسير» القيم، لابن القيم (ص٤٠٨).

(٢) انظر: البخاري مع الفتح، مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب (٧/ ١٩٣برقم ٣٨٨٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذابًا (١/ ١٩٥ برقم ٢١١).

٣- **الاحتجاج على من طلب الشفاعة** من غير اللَّه بالنص والإجماع، فلم يكن النبي ﷺ ولا الأنبياء من قبله شرعوا للناس أن يدعوا الملائكة، أو الأنبياء، أو الصالحين، ولا يطلبوا منهم الشفاعة، ولم يفعل ذلك أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولم يستَحِبّ ذلك أحد من أئمة المسلمين، لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم، ولا مجتهد يعتمد على قوله في الدين، ولا من يعتبر قوله في مسائل الإجماع، فالحمد للَّه رب العالمين(١).

المطلب الرابع: مسبغ النعم المستحق للعبادة:

من الحكمة في دعوة المشركين إلى اللَّه تعالى لفت أنظارهم وقلوبهم إلى نعم اللَّه العظيمة: الظاهرة والباطنة، والدينية والدنيوية. فقد أسبغ على عباده جميع النعم: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، وسخر هذا الكون وما فيه من مخلوقات لهذا الإنسان.

وقد بيّن سبحانه هذه النعم، وامتن بها على عباده، وأنه

---

(١) انظر: «فتاوى ابن تيمية» (١/١٠٨، ١١٢، ١٥٨، ١٦٠، ١٦٥، ١٦٦، ١٩٥، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٤١)، (١٤/ ٣٨٠، ٣٩٩، ٤٠٩، ٤١٤)، و«درء تعارض العقل والنقل» له (٥/١٤٧)، و«أضواء البيان» (١/ ١٣٧).

المستحق للعبادة وحده، ومما امتن به عليهم ما يأتي:

أولاً: على وجه الإجمال: قال اللَّه عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣].

فقد شمل هذا الامتنان جميع النعم: الظاهرة والباطنة، الحسيّة والمعنوية، فجميع ما في السَّمَوات والأرض قد سُخِّر لهذا الإنسان، وهو شامل لأجرام السَّمَوات والأرض، وما أودع فيهما من: الشمس والقمر والكواكب، والثوابت والسيارات، والجبال والبحار والأنهار، وأنواع الحيوانات، وأصناف الأشجار والثمار، وأجناس المعادن، وغير ذلك مما هو من مصالح بني آدم، ومصالح ما هو من ضروراتهم للانتفاع والاستمتاع والاعتبار.

وكل ذلك دالّ على أن اللَّه وحده هو المعبود الذي لا تنبغي العبادة والذلّ والمحبة إلا له، وهذه أدلة عقلية لا تقبل ريبًا ولا شكًا على أن اللَّه هو الحق، وأن ما يدعى من دونه هو

الباطل[١] : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج : ٦٢] وانظر سورة لقمان الآية ٣٠ .

ثانيا : على وجه التفصيل : ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم : ٣٢-٣٤] .

وقال عز وجل بعد أن ذكر نعمًا كثيرة : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾

---

(١) انظر : «تفسير البغوي» (١/ ٥٩) (٣/ ٧٢)، وابن كثير (٣/ ٤٥١ ، ٤/ ١٤٩)، والشوكاني (١/ ٦٠)، (٤/ ٤٢٠)، والسعدي (١/ ٦٩)، (٦/ ١٦١)، (٧/ ٢١)، و«أضواء البيان» للشنقيطي (٣/ ٢٢٥ . ٢٥٣).

أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٤ - ١٨] وانظر الآيات ٣-١٢ من السورة نفسها.

أفمن يخلق هذه النعم وهذه المخلوقات العجيبة كمن لا يخلق شيئًا منها؟

ومن المعلوم قطعًا أنه لا يستطيع فرد من أفراد العباد أن يحصي ما أنعم اللَّه به عليه في خلق عضو من أعضائه، أو حاسة من حواسه، فكيف بما عدا ذلك من النعم في جميع ما خلقه في بدنه، وكيف بما عدا ذلك من النعم الواصلة إليه في كل وقت على تنوعها واختلاف أجناسها؟[1] . ولا يسع العاقل بعد ذلك إلا أن يعبد اللَّه الذي أسدى لعباده هذه النعم ولا يشرك به شيئًا؛ لأنه المستحق للعبادة وحده سبحانه.

المطلب الخامس: أسباب ووسائل الشرك:

حذر النبي ﷺ عن كل ما يوصل إلى الشرك ويسبب وقوعه، وبين ذلك بيانًا واضحًا، ومن ذلك على سبيل الإيجاز ما يأتي:

---

(١) انظر: «فتح القدير» (٣/ ١١٠، ١٥٤)، و«أضواء البيان» (٣/ ٢٥٣).

١- الغلو في الصالحين هو سبب الشرك بالله تعالى، فقد كان الناس منذ أُهبِطَ آدم ﷺ إلى الأرض على الإسلام، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام»(١).

وبعد ذلك تعلق الناس بالصالحين، ودب الشرك في الأرض، فبعث اللَّه نوحًا ﷺ يدعو إلى عبادة اللَّه وحده، وينهى عن عبادة ما سواه(٢)، وردّ عليه قومه: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

وهذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسِي العلم عُبِدت»(٣).

وهذا سببه الغلو في الصالحين؛ فإن الشيطان يدعو إلى

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» كتاب التاريخ (٢/ ٥٤٦)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (١/ ١٠١)، وعزاه إلى البخاري، وانظر: «فتح الباري» (٦/ ٣٧٢).

(٢) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١/ ١٠٦).

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة نوح (٨/ ٦٦٧ برقم ٤٩٢٠).

الغلو في الصالحين وإلى عبادة القبور، ويُلقي في قلوب الناس أن البناء والعكوف عليها من محبة أهلها من الأنبياء والصالحين، وأن الدعاء عندها مستجاب، ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى الدعاء بها والإقسام على اللَّه بها، وشأن اللَّه أعظم من أن يُسأل بأحد من خلقه، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم إلى دعاء صاحب القبر وعبادته وسؤاله الشفاعة من دون اللَّه، واتخاذ قبره وثنًا تعلق عليه الستور، ويطاف به، ويستلم ويقبل، ويذبح عنده، ثم ينقلهم من ذلك إلى مرتبة رابعة: وهي دعاء الناس إلى عبادته واتخاذه عيدًا، ثم ينقلهم إلى أن من نهى عن ذلك فقد تَنَقَّصَ أهل هذه الرتب العالية من الأنبياء والصالحين، وعند ذلك يغضبون[(١)].

ولهذا حذّر اللَّه عباده من الغلو في الدين، والإفراط بالتعظيم بالقول أو الفعل أو الاعتقاد، ورفع المخلوق عن منزلته التي أنزله اللَّه تعالى، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ [النساء: ١٧١].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٩/ ٦٢)، و«فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» (ص٢٤٦).

٢- الإفراط في المدح والتجاوز فيه، والغلو في الدين: حذّر رسول اللَّه ﷺ عن الإطراء فقال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد اللَّه ورسوله**»(١)، وقال ﷺ: «**إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»(٢).

٣- بناء المساجد على القبور، وتصوير الصور فيها: حذّر ﷺ عن اتخاذ المساجد على القبور، وعن اتخاذها مساجد؛ لأن عبادة اللَّه عند قبور الصالحين وسيلة إلى عبادتهم؛ ولهذا لما ذكرت أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما لرسول اللَّه ﷺ كنيسة في الحبشة فيها تصاوير قال: «**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند اللَّه يوم القيامة**»(٣).

---

(١) البخاري مع الفتح بلفظه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿واذكر في الكتاب مريم...﴾ (٦/ ٤٧٨)، (١٢/ ١٤٤)، وانظر: شرحه في «الفتح» (١٢/ ١٤٩).

(٢) النسائي، كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى (٥/ ٢٦٠)، وابن ماجه، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي (٢/ ١٠٠٨)، وأحمد (١/ ٣٤٧).

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد (١/ ٥٢٣) (٣/ ٢٠٨)، (٧/ ١٨٧)، وأخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور (١/ ٣٧٥).

ومن حرص النبي ﷺ على أمته أنه عندما نزل به الموت قال: «**لَعْنَةُ اللَّه على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» . قالت عائشة رضي اللَّه عنها: يحذر ما صنعوا[١] .

وقال قبل أن يموت بخمس: «**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك**»[٢] .

٤- اتخاذ القبور مساجد: حذّر ﷺ أمته عن اتخاذ قبره وثنًا يُعبد من دون اللَّه، ومن باب أولى غيره من الخلق، فقال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد، اشتد غضب اللَّه على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[٣] .

٥- إسراج القبور وزيارة النساء لها: حذر ﷺ عن إسراج

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الصلاة، باب: حدثنا أبو اليمان (١/ ٥٣٢)، (٣/ ٢٠٠)، (٦/ ٤٩٤)، (٧/ ١٨٦)، (٨/ ١٤٠)، (١٠/ ٢٧٧)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها (١/ ٣٣٧).

(٢) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور (١/ ٣٧٧).

(٣) «الموطأ» للإمام مالك، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة (١/ ١٧٢)، وهو عنده مرسل، ولفظ أحمد (٢/ ٢٤٦): «اللهم لا تجعل قبري وثنًا، ولعن اللَّه قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣١٧)، وانظر: «فتح المجيد» (ص١٥٠).

القبور؛ لأن البناء عليها، وإسراجها، وتجصيصها والكتابة عليها، واتخاذ المساجد عليها من وسائل الشرك، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **«لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج»**[1].

٦- الجلوس على القبور والصلاة إليها: لم يترك ﷺ بابًا من أبواب الشرك التي تُوصِّل إليه إلا سده[2]، ومن ذلك قوله ﷺ: **«لا تجلسوا على القبور، ولا تصلوا إليها»**[3].

٧- اتخاذ القبور عيدًا، وهجر الصلاة في البيوت، بيّن ﷺ أن القبور ليست مواضع للصلاة، وأن من صلى عليه وسلم فستبلغه صلاته سواء كان بعيدًا عن قبره أو قريبًا، فلا حاجة لاتخاذ قبره عيدًا: **«لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري**

---

(١) النسائي، كتاب الجنائز، باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور (٤/ ٩٤)، وأبو داود كتاب الجنائز، باب في زيارة النساء القبور (٣/ ٢١٨)، والترمذي، كتاب الصلاة، باب كراهية أن يتخذ على القبر مسجدًا (٢/ ١٣٦)، وابن ماجه في الجنائز، باب النهي عن زيارة النساء للقبور (١/ ٥٠٢)، وأحمد (١/ ٢٢٩، ٢٨٧، ٣٢٤) (٢/ ٣٣٧)، (٣/ ٤٤٢، ٤٤٣)، والحاكم (١/ ٣٧٤)، وانظر ما نقله صاحب «فتح المجيد» في تصحيح الحديث عن ابن تيمية (ص٢٧٦).

(٢) انظر: «فتح المجيد» (ص٢٨١).

(٣) مسلم، كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه (٢/ ٦٦٨).

عيدًا، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»[١].

وقال ﷺ: «**إن لله ملائكة سياحين يبلغوني من أمتي السلام**»[٢].

فإذا كان قبر النبي ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض وقد نهي عن اتخاذه عيدًا، فغيره أولى بالنهي كائنًا من كان[٣].

٨- **الصور وبناء القباب على القبور**: كان ﷺ يطهر الأرض من وسائل الشرك، فيبعث بعض أصحابه إلى هدم القباب المشرفة على القبور، وطمس الصور، فعن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ «**ألا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته**»[٤].

٩- **شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة**: وكما سد ﷺ كل

---

(١) أبو داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، (٢/٢١٨) بإسناد حسن، وأحمد (٢/٣٥٧)، وانظر: «صحيح سنن أبي داود» (١/٣٨٣).

(٢) النسائي في السهو، باب السلام على النبي ﷺ (٣/٤٣)، وأحمد (١/٤٥٢)، وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ برقم (٢١ ص٢٤)، وسنده صحيح.

(٣) انظر: «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» لعبد الرحمن بن قاسم (٦/ ١٦٥ - ١٧٤).

(٤) مسلم، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر (٢/٦٦).

باب يوصّل إلى الشرك فقد حمى التوحيد عما يقرب منه ويخالطه من الشرك وأسبابه، فقال ﷺ: «**لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى**»(١).

فدخل في هذا النهي شدّ الرحال لزيارة القبور والمشاهد، وهو الذي فهمه الصحابة رضي الله عنهم من قول النبي ﷺ، ولهذا عندما ذهب أبو هريرة رضي الله عنه إلى الطور، فلقيه بصرة بن أبي بصرة الغفاري، فقال: من أين جئت؟ قال: من الطور. فقال: لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجت إليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد...**»(٢).

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد اتفق الأئمة على أنه لو نذر أن يسافر إلى قبره ﷺ أو غيره من الأنبياء

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة (٣/ ٦٣)، ومسلم بلفظه، كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره (٢/ ٩٧٦).

(٢) النسائي، كتاب الجمعة، باب الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة (٣/ ١١٤)، ومالك في «الموطأ» كتاب الجمعة، باب الساعة التي في يوم الجمعة (١/ ١٠٩)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٧، ٣٩٧)، وانظر: «فتح المجيد» (ص٢٨٩)، و«صحيح النسائي» (١/ ٣٠٩).

والصالحين لم يكن عليه أن يوفي بنذره، بل ينهى عن ذلك»[١].

١٠- **الزيارة البدعية للقبور** من وسائل الشرك؛ لأن زيارة القبور نوعان:

النوع الأول: زيارة شرعية يقصد بها السلام عليهم والدعاء لهم، كما يقصد الصلاة على أحدهم إذا مات صلاة الجنازة، ولتذكر الموت - بشرط عدم شدِّ الرِّحال، - ولاتباع سنة النبي ﷺ.

النوع الثاني: زيارة شركية وبدعية[٢]، وهذا النوع ثلاثة أنواع:

أ- من يسأل الميت حاجته، وهؤلاء من جنس عُبَّاد الأصنام.

ب- من يسأل اللَّه تعالى بالميت، كمن يقول: أتوسل إليك بنبيك، أو بحق الشيخ فلان، وهذا من البدع المحدثة في الإسلام، ولا يصل إلى الشرك الأكبر، فهو لا يُخرج عن الإسلام كما يُخرِج الأول.

---

(١) انظر: «فتاوى ابن تيمية» (١/ ٢٣٤).
(٢) انظر: «فتاوى ابن تيمية» (١/ ٢٣٣)، و«البداية والنهاية» (١٤/ ١٢٣).

ج- من يظنّ أن الدعاء عند القبور مُستجاب، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد، وهذا من المنكرات بالإجماع(١).

١١- الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها من وسائل الشرك؛ لما في ذلك من التشبه بالذين يسجدون لها في هذين الوقتين، قال ﷺ: «**لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فإنها تطلع بين قرني شيطان**»(٢).

والخلاصة: أن وسائل الشرك التي توصل إليه: هي كل وسيلة وذريعة تكون طريقًا إلى الشرك الأكبر، ومن الوسائل التي لم تذكر هنا: تصوير ذوات الأرواح، والوفاء بالنذر في مكان يُعبد فيه صنم أو يقام فيه عيد من أعياد الجاهلية، وغير ذلك من الوسائل(٣).

المطلب السادس: أنواع الشرك وأقسامه:

أولاً: الشرك أنواع، منها:

النوع الأول: شرك أكبر يخرج من الملة؛ لقوله تعالى:

---

(١) انظر: «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٦/ ١٦٥ - ١٧٤).

(٢) «صحيح مسلم» كتاب صلاة المسافرين، باب الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها، (١/ ٥٦٨ برقم ٨٢٨).

(٣) انظر: «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد» للعلامة الدكتور صالح الفوزان (ص٥٤ - ٧٠، ١١٣ - ١٥٢).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]، وهو أربعة أقسام:

١- **شرك الدعوة**: لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥] (١).

٢- **شرك النية والإرادة والقصد**: لقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥- ١٦](٢).

٣- **شرك الطاعة**: وهي طاعة الأحبار والرهبان وغيرهم في معصية الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

---

(١) وانظر: «الجواب الكافي» لابن القيم (ص٢٣٠ - ٢٤٤)، و«مدارج السالكين» لابن القيم (١/ ٢٣٩ - ٣٤٦).

(٢) وانظر: سورة الإسراء الآية: (٨)، وسورة الشورى الآية: (٢٠).

٤- **شرك المحبة**: لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

والخلاصة: أن الشرك الأكبر هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير اللَّه عز وجل: كأن يدعو غير اللَّه، أو يذبح لغير اللَّه، أو ينذر لغير اللَّه، أو يتقرب لأصحاب القبور، أو الجن والشياطين بشيء من أنواع العبادة، أو يخاف الموتى أن يضروه، أو يرجو غير اللَّه فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه من قضاء الحاجات وتفريج الكربات، وغير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصرف إلا للَّه عز وجل[١].

النوع الثاني: **شرك أصغر** لا يخرج من الملة ومنه يسير الرياء، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، ومنه الحلف بغير اللَّه؛ لقوله ﷺ: «**من حلف بغير اللَّه فقد كفر أو أشرك**»[٢]، ومنه قول الرجل: لولا اللَّه وأنت، أو ما شاء اللَّه؛ وشئت.

---

(١) انظر: «كتاب التوحيد» للعلامة الفوزان (ص١١).

(٢) رواه الترمذي وحسنه عن ابن عمر رضي الله عنهما، في كتاب النذور والأيمان، باب: ما جاء في كراهية الحلف بغير اللَّه، (٤/ ١١٠)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٩٩).

ومن أنواع الشرك: **شرك خفي**: «**الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل**»[١]، وكفارته هي أن يقول العبد: «**اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا وأنا أعلم، وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم**»[٢]، قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، قال: الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن يقول: واللَّهِ وحياتِك يا فلان، وحياتي، ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص البارحة، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء اللّه وشئت، وقول الرجل: لولا اللّه وفلان[٣].

وقول النبي ﷺ: «**من حلف بغير اللّه فقد كفر أو أشرك**»[٤]، قال الترمذي فُسِّرَ عند بعض أهل العلم أن قوله: فقد كفر أو أشرك على التغليظ والحجة في ذلك حديث ابن

---

(١) أخرجه الحكيم الترمذي، انظر: «صحيح الجامع» (٣/ ٢٣٣)، وتخريج الطحاوية للأرنؤوط (ص٨٣).

(٢) أخرجه الحكيم الترمذي، وانظر: «صحيح الجامع» (٣/ ٢٣٣)، و«مجموعة التوحيد» لمحمد بن عبد الوهاب، وابن تيمية (ص٦).

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ٥٦)، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٤) رواه الترمذي عن ابن عمر (٤/ ١١٠)، وتقدم تخريجه (ص٥٣).

عمر أن النبي ﷺ: سمع عمر يقول: وأبي وأبي، فقال ﷺ: «**ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم**»[١] وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**من قال في حلفه باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله**»[٢].

* ولعل الشرك الخفي يدخل في الشرك الأصغر فيكون الشرك شركان: شرك أكبر وشرك أصغر، وهذا الذي أشار إليه ابن القيم رحمه الله.[٣]

والخلاصة: أن الشرك الأصغر قسمان:

القسم الأول: **شرك ظاهر**، وهو: ألفاظ وأفعال: فالألفاظ: كالحلف بغير الله، وقول: ما شاء الله وشئت، أو لولا الله وأنت، أو هذا من الله ومنك، أو هذا من بركات الله وبركاتك ونحو ذلك. والصواب أن يقول: ما شاء الله وحده أو ما شاء الله ثم شئت، ولولا الله وحده، أو لولا الله ثم أنت، وهذا من الله وحده، أو هذا من الله ثم منك.

(١) رواه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما، في كتاب النذور والأيمان، باب: ما جاء في كراهية الحلف بغير الله(٤/ ١١٠)، وانظر: «صحيح الترمذي» (٢/ ٩٢).

(٢) رواه الترمذي عن أبي هريرة في الكتاب والباب المشار إليهما آنفًا (٤/ ١١٠)، وانظر: «صحيح الترمذي» (٢/ ٩٢).

(٣) انظر: «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» (ص٢٣٣).

والأفعال: مثل: لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه، وتعليق التمائم خوفًا من العين أو الجن، فمن فعل ذلك يعتقد أن هذه الأشياء ترفع البلاء بعد نزوله، أو تدفعه قبل نزوله فقد أشرك شركًا أكبر، وهو شرك في الربوبية حيث اعتقد شريكًا مع اللَّه في الخلق والتدبير، وشرك في العبودية حيث تأله لذلك وعلق به قلبه طمعًا ورجاء لنفعه، وإن اعتقد أن اللَّه عز وجل الدافع للبلاء والرافع له وحده، ولكن اعتقدها سببًا يستدفع بها البلاء، فقد جعل ما ليس سببًا شرعيًا ولا قدريًا سببًا وهذا محرم وكذب على الشرع وعلى القدر: أما الشرع فإنه نهى عن ذلك أشد النهي، وما نهى عنه فليس من الأسباب النافعة ، وأما القدر: فليس هذا من الأسباب المعهودة ولا غير المعهودة التي يحصل بها المقصود، ولا من الأدوية المباحة النافعة ، وهو من جملة وسائل الشرك؛ فإنه لابد أن يتعلق قلب متعلقها بها، وذلك نوع شرك ووسيلة إليه.

القسم الثاني من الشرك الأصغر: شرك خفي وهو الشرك في الإرادات، والنيات، والمقاصد، وهو نوعان:

النوع الأول: الرياء، والسمعة، والرياء: إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها، فيحمدوه عليها، والفرق بين الرياء

والسمعة: أن الرياء لما يُرى من العمل: كالصلاة، والصدقة، والحج، والجهاد، والسمعة لما يسمع: كقراءة القرآن، والوعظ، والذكر، ويدخل في ذلك تحدث الإنسان عن أعماله وإخباره بها.

النوع الثاني: إرادة الإنسان بعمله الدنيا: وهو إرادته بالعمل الذي يُبتغى به وجه اللَّه عرضًا من مطامع الدنيا، وهو شرك في النيات والمقاصد وينافي كمال التوحيد ويحبط العمل الذي قارنه[1].

نسأل اللَّه العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

ثانيًا: الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

١- الشرك الأكبر يخرج من الإسلام والأصغر لا يخرج من الإسلام.

٢- الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار، والأصغر لا يخلد صاحبه في النار إن دخلها.

٣- الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، والشرك الأصغر لا

---

(١) انظر: «القول السديد في مقاصد التوحيد» للسعدي (ص٤٣)، و«الجواب الكافي لمن سأل عند الدواء الشافي» لابن القيم (ص٢٤٠)، و«كتاب التوحيد» للعلامة الدكتور صالح بن فوزان الفوزان (ص١١ - ١٢)، و«الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد له» (ص١٣٤ - ١٤٣).

يحبط جميع الأعمال وإنما يحبط الرياء والعمل للدنيا العمل الذي خالطه.

٤- الشرك الأكبر يبيح الدم والمال، والأصغر ليس كذلك[١].

٥- الشرك الأكبر يوجب العداوة بين صاحبه وبين المؤمنين، فلا يجوز للمؤمنين موالاته، ولو كان أقرب قريب، وأما الشرك الأصغر فإنه لا يمنع الموالاة مطلقًا، بل صاحبه يحب ويوالي بقدر ما معه من التوحيد، ويبغض ويعادي بقدر ما فيه من الشرك الأصغر[٢].

المطلب السابع: أضرار الشرك وآثاره

الشرك له آثار خطيرة، ومفاسد جسيمة، وأضرار مهلكة، منها على سبيل الاختصار والإجمال، ما يأتي:

١- شر الدنيا والآخرة من أضرار الشرك وأثاره.

٢- الشرك هو السبب الأعظم لحصول الكربات في الدنيا والآخرة.

٣- الشرك يسبب الخوف وينزع الأمن في الدنيا والآخرة.

---

(١) انظر: «كتاب التوحيد» للعلامة الدكتور صالح الفوزان (ص١٢).

(٢) انظر: المرجع السابق، (ص١٥).

٤- يحصل لصاحب الشرك الضلال في الدنيا والآخرة، قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

٥- الشرك الأكبر لا يغفره الله إذا مات صاحبه قبل التوبة، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

٦- الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

٧- الشرك الأكبر يوجب الله لصاحبه النار ويحرم عليه الجنة، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار»**(١).

وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

٨- الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات مشركًا دخل النار (١/ ٩٤ برقم ٩٣).

﴿خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦] .

٩- الشرك أعظم الظلم والافتراء، قال اللَّه سبحانه وتعالى يحكي قول لقمان لابنه : ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] ، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨] .

١٠- اللَّه تعالى بريء من المشركين ورسولُهُ ﷺ، قال عز وجل: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣] .

١١- الشرك هو السبب الأعظم في نيل غضب اللَّه وعقابه، والبعد عن رحمته ، نعوذ باللَّه من كل ما يغضبه .

١٢- الشرك يطفئ نور الفطرة؛ لأن اللَّه عز وجل فطر الناس على توحيده وطاعته، قال سبحانه: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠] . قال النبي ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه**»(١)، وفي الحديث القدسي أن النبي ﷺ قال فيما

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه (٢/ ١١٩برقم ١٣٥٨)، ومسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٤/ ٢٠٤٧ رقم ٢٦٥٨).

يرويه عن ربه تعالى: «**إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أُنزل به سلطانًا**»[١].

١٣- يقضي على الأخلاق الفاضلة، لأن أخلاق النفس الفاضلة من الفطرة وإذا كان الشرك يقضي على الفطرة فمن باب أولى أن يقضي على ما انبنى على فطرة اللّه من الأخلاق الطيبة الحسنة.

١٤- يقضي على عزة النفس؛ لأن المشرك يذل لجميع طواغيت الأرض كلها؛ لأنه يعتقد أنه لا معتصم له إلا هم، فيذل ويخضع لمن لا يسمع ولا يرى، ولا يعقل، فيعبد غير اللّه، ويذل له، وهذا غاية الإهانة والتعاسة، نسأل اللّه العافية.

١٥- الشرك الأكبر يبيح الدم والمال؛ لقوله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللّه وأن محمدًا رسول اللّه، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على اللّه**»[٢].

---

(١) مسلم، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها أهل الجنة وأهل النار (٢١٩٧/١ برقم ٢٨٦٥).

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الإيمان، باب ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾ (١٤/١ برقم ٢٥)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا اللّه (٥٣/١ برقم ٢٠).

١٦- الشرك الأكبر يوجب العداوة بين صاحبه وبين المؤمنين، فلا يجوز لهم موالاته ولو كان أقرب قريب.

١٧- الشرك الأصغر ينقص الإيمان، وهو من وسائل الشرك الأكبر.

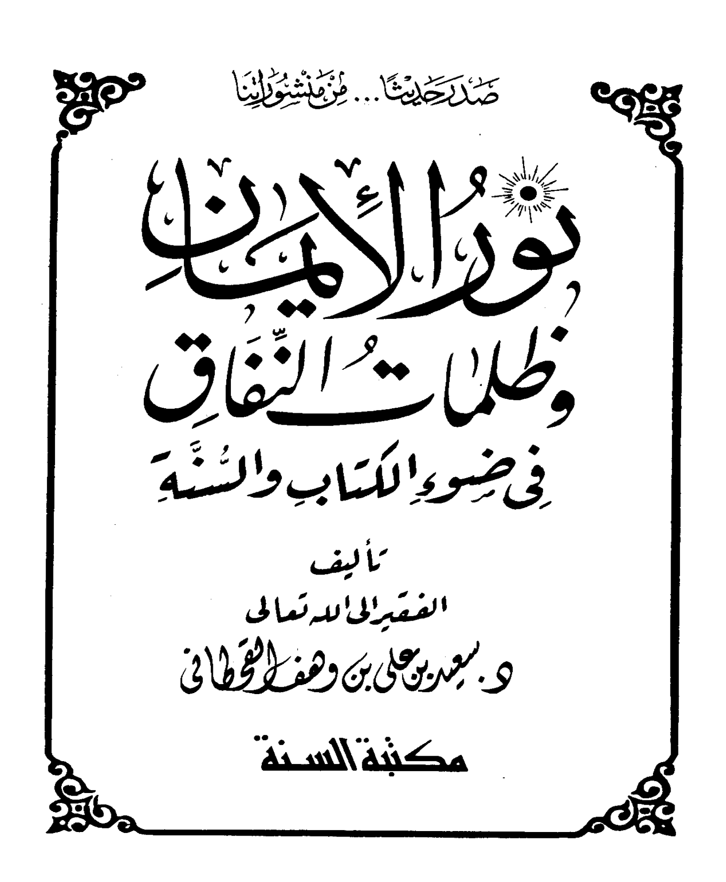
١٨- الشرك الخفي وهو شرك الرياء والعمل لأجل الدنيا يحبط العمل الذي قارنه، وهو أخوف من المسيح الدجال؛ لعظم خفائه، وخطره على أمة محمد ﷺ.

فاحذر يا عبد اللّه الشرك كله: كبيره وصغيره، نعوذ باللّه منه، ونسأل اللّه السلامة والعفو والعافية في الدنيا والآخرة.

وصلى اللّه وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

* * *

الفهرس



صدر حديثا ... من منشوراتنا
نور الإيمان
وظلمات النفاق
في ضوء الكتاب والسنة
تأليف
الفقير إلى الله تعالى
د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني
مكتبة السنة